

اسلوب الالتفات في هاشميات الكميته

م. بشائر امير عبد السادة

كلية التربية / جامعة بابل

ملخص البحث :

ان الالتفات من الاساليب البلاغية التي عرفها الشعر العربي القديم والتي حازت على نصيب وافر من دراسة البلاغيين واللغويين ، مع الإشارة إلى ان هذا الاسلوب لم يطلق عليه في بادئ الأمر اسم الالتفات وانما أطلق عليه اسم العدول أو الانصراف ... حتى استقر على يد الأصمعي بهذا الاسم (الالتفات).

ومن الواضح ان لهذا الاسلوب غايات كان الشعراء يرومون الوصول إليها منها دفع السام وشدّ الأسماع للإصغاء وغيرها . ولعل الكميته بما امتلك من ثقافة واسعة وذخيرة لغوية كبيرة كان يعمد إلى هذا الاسلوب في هاشمياته ، ليهيئ الأذهان إلى الاستماع إليه ويعمد إلى إيقاظ المتلقين لفضل بني هاشم فضلا عن غايات أخرى ... ولقد رتب البحث على ثلاثة مطالب ، المطلب الأول : تحدثت فيه عن الالتفات بالضمير (التكلم ، والخطاب ، والغيبة) ، أما المطلب الثاني : فقد تناولت فيه الالتفات الزمني في الفعل (الماضي ، والمضارع ، والأمر) ، أما المطلب الثالث : فقد تناولت فيه الالتفات العددي (الإفراد ، والتنثنية ، والجمع).

الالتفات لغة : يقال (لفت وجهه عن القوم صرفه والتفت التفاتا ، والتلفت أكثر منه وتلفت الى الشيء والتفت إليه : صرف وجهه إليه ...) ولفته عن الشيء يلفته لفتا : صرفه . الفراء في قوله عز وجل : "أجنتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ؟ " * . اللفت : الصرف ؛ يقال ما لفتك عن فلان أي ما صرفك عنه^(١) . ويقال أيضاً (لفته يلفته لفتا : لواه على غير جهته ، واللفت لي الشيء عن جهته كما تقبض على عنق إنسان فتلفته ويقال للفت : الصرف . يقال لفته عن الشيء يلفته لفتا : صرفه ...) ^(٢) . وجاء في القاموس المحيط : (لفته : يلفته لواه وصرفه عن رأيه ومنه الالتفات) ^(٣) .

الالتفات اصطلاحاً : اوضح تعريف للالتفات هو (الانتقال من اسلوب الى اسلوب آخر او انه الانصراف عنه الى آخر) ^(٤) . ان اسم الالتفات لم يستقر في بادئ الأمر بهذه التسمية فمن الملاحظ انه عرف في بادئ الأمر دون وضع تسمية محددة له ، فأبو عبيدة يقول (والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشاهد فترجع إلى الشاهد) ^(٥) . وبعد ذلك وضع العلماء له عدة تسميات فابن قتيبة يطلق عليه باب مخالفة اللفظ لمعناه قال (ومنه ان تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب) ^(٦) . وابن المعتز يسميه انصرافاً يقول : (انصراف المتكلم عن الأخبار إلى المخاطبة ، ومن المخاطبة إلى الأخبار) ^(٧) . اما فخر الدين الرازي فيسميه عدولاً قال (انه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس) ^(٨) . اما الأصمعي فقد اطلق عليه اسم الالتفات وهذا واضح من قوله للموصلي حينما سأله عن قول جرير :

انتسى إذ تُورِّعنا سُلَيْمِي
بفِرْعِ بِشَامَةِ سَقِيّ الْبِشَامِ^(٩)

(ألا تراه مقبلاً على شعره . ثم التفت إلى البشام فدعا له) ^(١٠) .

وسنكتفي بهذه الأقوال للعلماء عن تسمية الالتفات واستقرار التسمية . ولأهمية الالتفات في علم البلاغة فقد تناوله العلماء بالدراسة والشرح (وأول من فصل القول فيه ، ولم ينظر إليه هذه النظرة الشكلية التي تفقده قيمته وتذهب برونقه وجماله في الكلام) ^(١١) ، هو ابن الأثير فقد قال (وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان ...) وحقيقته مأخوذة من التفات الأنسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغته إلى صيغته ، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب ، أو من خطاب غائب إلى حاضر ، أو من فعل ماض إلى مستقبل ، أو من مستقبل إلى ماض ، (...) ويسمى أيضاً (شجاعة العربية) ^(١٢) .

فائدة الالتفات : ان لاسلوب الالتفات في اشعار العرب ميزة خاصة تكمن في الخروج بالحديث عما يتوقعه المتلقي فالالتفات ما هو (إلا حقيقة إجرائية في بناء الاساليب ، تتأسس على عنصر المباغته بما يستدعي انتباهاً خاصاً لأنها تذهب بالسامع كل مذهب ، حيث يأخذ الحديث مسارب متنوعة ، لقاء العدول عن المعتاد لصالح استخدامات خاصة قائمة على هذا اللون من الصياغة) ^(١٣) ولهذا نجد ان

* يونس : ٧٨ .

١- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، د. ط ، د. ط : د. ط ، ٨٤/٢ مادة لفت .

٢- تاج العروس من جواهر القاموس محب الدين ابو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني ، دار الرشد الحديثة ، د. ط ، المجلد الأول : ٥٨١ .

٣- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، عالم الكتاب ، بيروت ، د. ط ، د. ط : د. ط ، ١٥٧/١ ، وينظر : المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة ، استانبول ، ط ٢ ، ١٩٧٢ : ٨٣١/٢ .

٤- فن الالتفات في مباحث البلاغيين ، جليل رشيد فالح ، مجلة آداب المستنصرية ، د. ط ، بغداد ، ٩٤ ، د. س ، ١٩٨٤ : ٦٦ .

٥- مجاز القرآن ، ابو عبيدة ، تح : محمد فؤاد سركين ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٦٢ : ١٣٩/٢ .

٦- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تح : أحمد صقر ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، د. ط ، د. ط : ٢٢٣ .

٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢ : ٤٥/٢ .

٨- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، تح : ابراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي ، دار الفكر للنشر ، عمان ، د. ط ، ١٩٨٥ : ١٤٦ .

٩- شرح ديوان جرير ، جمعه وشرحه : محمد اسماعيل الصادي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، د. ط ، ١٣٥٣ هـ : ٥١٢ .

١٠- كتاب الصناعتين ، ابو هلال العسكري ، تح : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٩ : ٤٣٩ .

١١- البلاغة عند السكاكي ، احمد مطلوب ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، د. ط ، ١٩٦٤ : ١٣٨ .

١٢- المثل السائر ، ابن الأثير ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مط : مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، د. ط ، ١٩٣٩ : ١٨١/٢ .

١٣- ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقارنة اسلوبية ، عبد الحفيظ مراح ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٦ م : ١٠٦ .

معظم البلاغيين يرون ان الكلام اذا انتقل من اسلوب الى آخر يكون ادعى الى شدة الاسماع للإصغاء (فان لكل جديد لذة ولبعض مواقعها لطائف ملاك ادركها الذوق السليم)^(١). ويرى الزركشي ان للالتفات (فوائد عامة وخاصة فمن العامة التفنن في الانتقال من اسلوب الى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع واستجلاب صفائه واتساع مجاري الكلام وتسهيل الوزن والقافية...) (٢)، وللزمخشري الرأي نفسه فقد قال: (... الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على اسلوب واحد)^(٣). اما ابن الاثير فقد عارض الزمخشري ومن سبقه فهو يرى ان الكلام اذا كان حسناً لا يميل المتلقي فالمتكلم لا يحتاج الانتقال من اسلوب الى آخر لشدة الاسماع ودفع المتلقي للإصغاء قال: (والذي عندي في ذلك ان الانتقال من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة امر وراء الانتقال من اسلوب الى اسلوب غير انها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع ليقاس عليها غيرها)^(٤). من الملاحظ ان ابن الاثير كان متقدماً جداً في فهم وتوضيح ظاهرة الالتفات وعلاقتها بالطرح الفني^(٥) فقد (فهم الشعرية على انها لا ترتبط بالأمر التقريرية الواضحة، ولكنها ترتبط بأمور كالتعظيم والتفخيم التي لا تعرف لها مقاييس تحدها ولكنها تذهب بالسامع كل مذهب)^(٦). ومن هذا التصور الذي اوضحه ابن الاثير نجد ان الالتفات يلتبس (بصيغ الكلام التركيبية والتعبيرية بوصفه ظاهرة نصية تتداخل بالمعنى والتشكيل والقراءة والتأويل فإذا كان الواقع اللغوي يفرض انزياحاته على النص فعلى القارئ في رؤيته التقبلية تصويب الملكة التأملية في اكتشاف الصور الالتفاتية)^(٧). وعليه يكون للالتفات فوائد وأغراض متنوعة وهي تختلف باختلاف الكلام ومواقفه على وفق ما يقصده المتكلم^(٨)، ويختص كل موقع من هذا الواقع بنكت ولطائف^(٩) ومن هذه الفوائد اظهار المهابة والجلالة، والتوبيخ، والتقبيح، والتشنيع، وإلقاء الروح، والمهابة في القلب، والدلالة على الاختصاص بالقدرة، والتعظيم....^(١٠)

هاشميات الكميت: وهي مجموعة من القصائد تقدّر بخمسمائة وثمانية وسبعين بيتاً^(١١)، قالها الشاعر في مدح الرسول (ص) وفضل اهل البيت وأحقيتهم بالخلافة. وهذه القصائد تعدّ نوعاً جديداً من الشعر العربي فالشاعر حينما يعرض لقضية سياسية اجتماعية كبرى من قضايا المجتمع وهذا الامر لم يكن موجوداً من قبل في الشعر العربي فالشاعر حينما يعرض لقضية مهمة يخصص لها بيتاً أو عدة ابيات من الشعر اما الكميت فقد كسر هذا الاسلوب اذ نراه ينصرف الى القضية نفسها يعرض، ويكشف، ويجادل ليصل والمخاطب الى الاقتناع بنظرية في الحكم.^(١٢) ويرى د. عبد القادر القط ان هاشميات الكميت تعدّ نموذجاً فريداً من (الشعر السياسي الذي يتدفق من عاطفة جياشة بحب صادق يشارف احياناً ما يشبه الوجد الصوفي)^(١٣) وان الجدل السياسي الموجود في الهاشميات (هو في حقيقته الصق بما يمكن ان نسميه بالاستهواء الخطابي الذي يحيل الخطيب فيه الفكرة الى احساس بوسائل الخطابة المعروفة من تكرار أو سخرية أو تأكيد اتجاه الى عاطفة السامع ومحاولة اثاره وجدانه قبل اقناع عقله)^(١٤) اما د. عباس عبيد الساعدي فإنه يخالف هذا الرأي اذ يرى ان الكميت انماز (بمقدرته على استثارة فضول المتلقي من خلال مخاطبة عقله قبل عاطفته، وكثيراً ما عمد وبخاصة في هاشمياته، ان يثير في صورته الذهنية مخيلة السامع لما تحمل من دلالات نفسية وعقلية خارج ذهنيته تتطلب منه جهداً لاستنباط معنى الكلمات التي انتقلت من معناها الحسي الى الذهني)^(١٥). ولعل هذا الرأي هو اقرب الى الحقيقة فالملحوظ ان ابا المستهل الكميت لم يكن طموحه اثاره مشاعر المتلقي بقدر ما كان همّه مخاطبة عقله بالأدلة والبراهين التي تثبت احقية اهل البيت بالحكم دون سواهم، وهذا الامر سنالاحظه عبر قراءتنا لهاشميات الكميت.

أقسام الالتفات

القسم الاول: الالتفات بالضمير :- ان الضمير ينقسم على ثلاثة أقسام بحسب الجهة الناطقة داخل النص الشعري وهذه الاقسام هي التكم، والخطاب، والغيبة^(١٦). وهذا الضمير (ينطوي على ازدواجية صريحة فهو كلي في اللغة جزئي في الكلام : (انا) أو (انت) أو (هو) ضمائر يمكن ان يقولها أي شخص فتعنيه بذاته، وهذه الازدواجية التي يحملها الضمير تسمح ان نميز بين الضمير والشخص فالضمير هو الملفوظ اللغوي في صيغة معروفة (انا - أنت - هو) والشخص هو المعني الخارجي، العلاقات اللغوية الداخلية هي التي تحدد الضمير، والعلاقات اللغوية هي التي تحدد الشخص)^(١٧).

- ١- جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان: ٢٣٩.
- ٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٠، ٣: ٢٣٦/.
- ٣- الكشاف، الزمخشري، رتيبه وضبطه وحققه: مصطفى حسين احمد، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٨٧، ١٣/١.
- ٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١٦٩/٢ - ١٧٠.
- ٥- ينظر: ظاهرة العدول في البلاغة العربية: ١٠٦.
- ٦- اعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الادبي، علي مهدي زيتون، دار المشرق - بيروت، (د.ط)، ١٩٩٢، ٤٠١.
- ٧- جماليات العدول ومظاهره حول الشعرية العربية، قراءة في التراث العربي، ابو صفا عبد الرحيم، بحث انترنت.
- ٨- ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٦٦/٣.
- ٩- ينظر: الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت): ٢٣٥/٢.
- ١٠- ينظر: اسلوب الالتفات، ميلود لقاح، صحيفة المثقف، صحيفة سياسية ثقافية مستقلة ٥ نوفمبر، ٢٠٠٦.
- ١١- ينظر: الغدير، الشيخ: عبد الحسين الاميني، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٧٩هـ: ١٨١/٢.
- ١٢- ينظر: هاشميات الكميت بن زيد الاسدي الحافظ الحق للثورتين السياسية والاجتماعية والادبية، د. عبد المجيد زراقة، مجلة المنهاج، ٢٤، ١٩٩٦ مجلة الكترونية.
- ١٣- في الشعر الاسلامي والأموي، د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧، ٢٧٨.
- ١٤- في الشعر الاسلامي والأموي: ٢٧٩.
- ١٥- الصورة الفنية في شعر الكميت بن زيد الاسدي، د. عباس عبد الساعدي، مجلة اهل البيت (ع)، ع٤، ١٩٠٠: ٢٠٠٥.
- ١٦- ينظر: اللغة الشعرية، محمد كنوني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٧، ١٨٥. وينظر: شفرات النص، د. صلاح فضل، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠: ١٤.
- ١٧- أقتعة النص، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط، ١٩٩١، ٥٠ - ٥١.

ولهذه الضمائر القدرة في الخروج من النمط العادي للجملة النحوية لترتبط بأعلى نماذجها بالمعنى الداخلي للقصيدة على وفق ما يراه الشاعر للنص الذي يبدعه من جهة، وما يودّ ايصاله للمتلقي من جهة أخرى^(١)، فالالتفات ذو أثر فعال وقابلية كبيرة في تنويع انماط الكلام تلبية لبواعث نفسية شتى (٢). لذا نجد ان الكعبت وظف اسلوب الالتفات في قصائده الهاشميات لبواعث وغايات نفسية وسياسية واجتماعية اراد بهذا الاسلوب ايصالها الى المتلقي.

ان هذا القسم من أقسام الالتفات ينقسم بدوره على ستة أقسام وهي بحسب ورودها في اشعار الكعبت:

أ- الانتقال من الغيبة الى الخطاب :- وله ثلاثة صور، الصورة الاولى:- الانتقال من الغيبة الى الخطاب قال الشاعر:

يقولون لم يورث ولولا تراثه	لقد شركت فيه بكيل وأرحب
وعك ولخم والسكون وحمير	وكندة والحيان بكر وتغلب
ولانتشلت عضوين منها يحابر	وكان لعبد القيس عضو مؤرب
ولانتقلت من خندف في سواهم	ولا تقتدحت قيس بها ثم انقبوا
وما كانت الأنصار فيها اذلة	ولا غيباً عنها إذ الناس غيب
هم شهدوا بدرأ وخبير بعدها	ويوم حنين والدماء تصبب
وهم رائموها غير طار وأشبوا	عليها بأطراف القنا وتحذبوا
فان هي لم تصلح لحي سواهم	فان ذوي القربى احق واقرب
والأفقولوا غيرها تتعرفوا	نواصيها تردي بنا وهي شرب ^(٣)

من الملاحظ ان الشاعر استخدم اسلوب الاخبار عن الغائب بنسق حكائي ابتداءً ب (يقولون) وبدأ يسرد تلك الأخبار عنهم ويبين صفاتهم وأحقيتهم بالخلافة والحكم لينتقل بعدها الى مخاطبتهم بشكل مباشر وصريح ليبين للمتلقي زيف ادعائهم ومن ثم يعود الى الغائب، وقد وظف الشاعر اسلوباً مميزاً ليبين به احقية اهل البيت بالخلافة والحكم وهذا الاسلوب هو (السخرية) فالشاعر يعرض باسلوب ساخر الادلة العقلية والمنطقية ليخاطب بها المتلقي فهو يعنى في ذكر (اسماء العديد من القبائل على الرغم من التمايز بينها شاناً وانتفاءً، متهماً أعداءه، انهم يحملون على النبي محمد (ص) فهو يصور عدم مقدرتهم على اثبات ما يقولون)^(٤). فالشاعر اختار اسلوباً انماز به عن غيره من الشعراء الشيعة ليدافع به عن موضوع احتل الاولوية في الفكر الاسلامي وهو الحق المسلوب لآل البيت (ع) وقد اعتمد في توضيح هذه الفكرة مقدرته الذهنية في الاستجداد بالمعنى المعبر وكذلك مقدرته الشعرية في بناء القصيدة فناً من حيث التصوير والإيقاع الموسيقي^(٥)، فالعواطف والصور يجب ان يرتبط احدهما بالآخر ارتباطاً فنياً معبراً ليتمتلاً طبيعياً للذهن في جمالية فنية^(٦). كما هو واضح من الابيات الشعرية ان الغاية التي خرج بها الشاعر هي السخرية من المخبر عنهم. وفي مقطع آخر من القصيدة ذكر الشاعر واقعة الطف وقال:

ومن اكبر الاحداث كانت مصيبة

علينا قتيل الادعياء الملح

قتيل بجنب الطف من آل هاشم

فيا لك لحماً ليس عنه مذب^(٧)

يتحدث الشاعر هنا عن مقتل الامام الحسين (ع) بلغة الغائب تعظيماً لتلك الحادثة التي المّت بالأمة الإسلامية ومن ثم ينتقل ليخاطب الجسد المقدس وكأنه حاضر أمامه، وهذا الحضور هو حضور معنوي فالإمام (ع) مائل امامنا بهيبته وعلو مكانته وعظمته في نفوسنا. ومن الملاحظ ان الشاعر يرسم صورة واضحة للمقتول وقلته فالمقتول ينسب الى بني هاشم سادة قريش والقتلة هم اولاد ادعياء معروفون عبر التاريخ بوضاعة نسبهم وخبثهم وضلالهم. ان التفات الشاعر من ضمير الغائب الى المخاطب خرج في هذه الابيات من اجل التعظيم من شأن المتحدث عنه والمخصوص بالخطاب. هذه هي الصورة الاولى من انتقال الشاعر من الغيبة الى الخطاب، اما الصورة الثانية فهي انتقال الشاعر من الغيبة الى الخطاب الى الغيبة قال الشاعر:

الا يفزع الا قوام مما اظلم	ولما تجبهم ذات ودقين ضيئل
الى مفزع لن ينجي الناس من عمى	ولا فتنة الا اليه التحول
الى الهاشميين البهاليل إنهم	لخائفنا الراجي ملاذ وموئل
الى أي عدل ام لاية سيرة	سواهم يؤم الطاعن المترحل
وفيهم نجوم الناس والمهتدي بهم	اذا الليل امسى وهو بالناس الليل
اذا استحكمت ظلماء امر نجومها	غوامض لايسري بها الناس اقل
وان نزلت بالناس عمياء لم يكن	لهم بصر إلا بهم حيث شكل
فيارب عجل ما يؤمل فيهم	ليدفعاً مقرر ويشبع مرم
وينفذ في راض مقر بحكمه	وفي ساخط منا الكتاب المعطل
فأنهم للناس فيما ينوبهم	غيوث حياً ينفي به المحل محل
وإنهم للناس فيما ينوبهم	اكف ندى تجدي عليهم وتفضل ^(٨)

١- اسلوب الالتفات في شعر الجواهري، شيماء محمد كاظم الزبيدي، رسالة ماجستير كلية التربية - جامعة بابل/ ٣٧.

٢- ينظر: فن الالتفات في مباحث البلاغيين: ٦٥.

٣- شرح الهاشميات، للشاعر الكعبت بن زيد الاسدي، محمد محمود الرفاعي، شركة التمدين الصناعية، مصر، ط٢: ٤٢ - ٤٣.

٤- الصورة الفنية في شعر الكعبت بن زيد الاسدي: ١٩١.

٥- ينظر: م.ن: ١٩١.

٦- ينظر: دراسات ونماذج من مذاهب الشعر ونقده، محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٨٧: ٨١.

٧- شرح الهاشميات: ٥٠.

٨- شرح الهاشميات: ٧٢ - ٧٣.

لعل الشاعر وفق في استخدامه (إلا) الاستفتاحية للتعبير عن تلك الثورة الكامنة في صدره فالشاعر ارد استنهاض الامة وتنبيهها للخطر المحقق بها عبر استخدامه (إلا) فكأنه يصرخ بوجه الناس قائلاً لهم الم يحن الوقت لتقفوا أمام الظلم والطغيان، وفي معادلة بسيطة يحاجج بها عقول كل من يحاول الوقوف مع بني امية فال البيت هم المفزع والمنجي من الاخطار هم الحماية من الحروب وهم الامان من المصائب. وما يلاحظ ان الشاعر في هذه الابيات يركز على (الناس) فيكرر هذه الكلمة (٧ مرات) في ابيات متعاقبة فالشاعر يجعلهم محور اهتمامه لان الغاية من هذه الابيات هي تحريكهم واستنهاضهم ليخرجوا بثورة عن طريق كشف الواقع وتقديم البديل عبر محاججة عقلية، فالشاعر اراد من الناس ان يعوا واقعهم وعيا كيانياً يفضي الى سعي قد يكلف الانسان حياته^(١). وبعد ذلك نجد الشاعر ينتقل الى مخاطبة (الله) ليبيث شكواه وليبين في الوقت نفسه ارتباط اهل البيت بالله سبحانه وتعالى وان لهم القدرة في اشباع الجائع وإعطاء الأمان والدفع للمقروور لان سياستهم مستمدة من احكام السماء لا من احوالهم كما يفعل بنو أمية وبعد ذلك يعود الشاعر الى ضمير الغائب ليبرز صفاتهم واضعاً الناس امام خيار اذا اتخذوه كان لهم الحظ الاوفر في الحياة الدنيا والآخرة. ان الغاية التي ارادها الشاعر من انتقاله من ضمير الغائب الى المخاطب الى الغائب مرة أخرى هي استنهاض الهمم وبث الشكوى للمخاطب (الله). وفي قصيدة أخرى يذكر فيها مناقب آل البيت(ع) قال :

قوم اذا امولح الرجال على افواه من ذاق طعمهم عذبوا
وان نزلوا فالغيوث باكرة والاسد اسد العرين إن ركبوا
لاهم مفاريح عند نوبتهم ولا مجازيع ان هم نكبوا
هينون لينون في بيوتهم سنخ التقى والفضائل الرتب
والطيبون المبرؤن من ال آفة والمنجبون النجب^(٢)

ويستمر الشاعر بذكر صفات آل البيت بتسعة ابيات أخرى ثم ينتقل ليخاطبهم قال :

ياخير من ذلت المطي لهم انتم فروع العضاة لا الشذب
انتم من الحرب في كرائمها بحيث يلقي من الرحي الحطب
اذا بدت بعد كاعب رؤد شمطاء منها للحاء والصخب^(٣)

ان الشاعر هنا يمدح آل البيت (ع) بسلسلة من المناقب والقيم العليا الرجولية والانسانية والكرم الفياض فمدحه لآل البيت يشكل صورة واقعية تجسد دورهم التاريخي في تماسك الامة بالقيم التي نادى بها النبي (ص) (٤). وهو بذكره لتلك المناقب اراد ان يهيئ ذهن المتلقي لفضل ومدوحه وكرامتهم ليصل معه الى نتيجة واضحة وهي ان من يتصف بهذه الصفات لا يد ان يمتلك زمام الامور بيده فالشاعر هنا عرض بلغة الغيبة صفات ومدوحه للتعظيم من شأنهم ولإلقاء الحجة على كل من ادعى الخلافة لنفسه ومن رضى بهذا الامر، وبعدها يلتفت لمخاطب مدوحه مباشرة: ياخير من ذلت المطي لهم انتم فروع العضاة لا الشذب
انتم من الحرب في كرائمها بحيث يلقي من الرحي الحطب^(٥) تعظيماً لشأنهم ومن ثم ينتقل مرة أخرى الى الحديث بلغة الغائب، موضعاً مواقفهم في الحروب والازمات. اما الصورة الثالثة فهي الانتقال من الغائب الى المخاطب الى المتكلم، قال الشاعر:

وقالوا ورثناها ابانا وامنا وما ورثهم ذاك ام ولا اب
يروون لهم حقاً على الناس واجباً سفاهاً وحق الهاشميين اوجب
ولكن مواريث ابن أمانة الذي دان به شرقي لكم ومغرب
فدى لك موروثاً ابي وابو ابي ونفسي ونفسي بعد بالناس اطيب
بك اجتمعت انسابنا بعد فرقة فنحن بنو الاسلام ندعى وننسب^(٦)

صور الشاعر عبر لغة الغياب سياسة بني امية وادعاءها الاحقية بالحكم محاولاً تنبيه المتلقي لتلك السياسة المتبعة عبر مناقشتها (وانها تتضمن مفارقة كبرى فكان بهذا يهز السائد والراكد ويحرض على التفكير)^(٧) ومن الواضح ان الغاية من هذا الالتفات هي السخرية من المتحدث عنهم والتعظيم من شأن المخاطب. هذه هي ابرز صور التفات الشاعر من الغائب الى المخاطب .

ب-الانتقال من الخطاب الى الغيبة : وله صورتان :

الصورة الاولى :- الانتقال من الخطاب الى الغيبة، قال الشاعر في تعظيم المتحدث عنه :

نفي عن عينك الارق الهجوعا وهم يمتري منها الدموعا
دخيل في الفؤاد يهيج سقما وحزنا كان من جذل منوعا
وتوكاف الدموع على اكنئاب احلّ الدهر موجعه الضلوعا
ترفرق اسحما درراً وسكباً يشبه سحها غرباً هموعا
لفقدان الخصارم من قریش وخير الشافعين معاشفيعا
لدى الرحمن يصدع بالمثاني وكان له ابو حسن قريعاً^(٨)

^١-ينظر : هاشميات الكميث بن زيد الاسدي الحافظ الحق للثورتين السياسية والاجتماعية والادبية.

^٢-شرح الهاشميات : ٦٢ - ٦٣ .

^٣-م.ن : ٦٣ .

^٤-الصورة الفنية في شعر الكميث بن زيد : ١٧٩ .

^٥-شرح الهاشميات : ٦٤ .

^٦-شرح الهاشميات : ٤١ - ٤٢ .

^٧-هاشميات الكميث بن زيد الاسدي الحافظ الحق للثورتين السياسية والاجتماعية والادبية.

يعبر الشاعر في هذه القصيدة عن مدى حزنه والمه لفقد آل البيت (ع) وقد تجاوز في مرثيته (صورة الحزين الصابر المحتسب الى رثاء غاضب يعبر عن مكونات نفسية ثائرة، فقد جاءت تعبيراً عن عاطفة صادقة يتلازم معها سخط على قتلهم) (١). والشاعر كما لاحظنا يعبر عن تلك العاطفة بصيغة الخطاب فيجرد شخصاً من ذاته ليخاطبه محاولاً شدّ انتباه المتلقي الى امرهم، وهو ان هذا الحزن وهذا الالم ليس تعبيراً عن عاطفة عابرة او حب لاجل دنيا وانما وكما هو ملاحظ كانت مشاعر الكعبت التي يحاول بثها بين الناس ومشاعر وانفعالات رسالية، وهذا الامر واضح في حبه للرسول (ص) وآل بيته (ع). فأدب الكعبت كان ادباً واقعياً وانفعالاته رسالية، وتجاربه الشعورية ترتبط بعواطفه الرسالية (٢) وينتقل الشاعر بعد صيغة الخطاب الى صيغة التحدث بصيغة الغائب ليبين مدى عظمة المتحدث عنهم مؤكداً مسألة مهمة تشغل الامة هي من قائد هذه الامة؟ ليوضح بشكل جلي أنه منصوص عليه من قبل النبي (ص) الا ان السياسة المتبعة تحاول تغييب هذا الامر.

ان الغاية من هذا الالتفات هي التعظيم.
وفي مقطع آخر من القصيدة يسخر الشاعر من بني امية قال :
فقل لبني امية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا
الا ف لدهر كنت فيه هداانا طائناً لكم مطيعاً
اجاع الله من اشبعتموه واشبع من بجوركم اجيعا
ويلعن فذ امته جهاراً إذا ساس البرية والخليعا
بمرضي السياسة هاشمي يكون حيا لأمته ربيعا
ولينا في المشاهد غير نكس لتقويم البرية مستطيعا
يقم امورها ويذب عنها ويترك جديها ابدأ مريعاً (٤)

ان الشاعر يتحدث بلغة الخطاب مع المتلقي عبر تقنية داخلية محاولاً تجريد شخص من نفسه يتحدث اليه ليعبر عما اصابه واصاب الامة من الهم والغم لتصل تلك الصورة الى المخاطب الحقيقي وهم (بنو امية) الذين يصورون الامور كما تحلو لهم، وايضاً لتصل تلك الصورة الى عامة الناس ليعلموا ان هؤلاء المسمين بخلفاء (الامة) لافضل لهم على الامة بل انهم سراق وظالمون. وبعدها ينتقل الى ضمير الغيبة ليتحدث عن خليفة الامة الحقيقي الذي بوجوده تحيا الامة بخير وعافية ويتحول الفقر الى غنى ورزق وخير. ولعل الامر الواضح في قراءة هذه الابيات الشعرية ان الشاعر يصور حالته الانفعالية حينما يتحدث عن بني امية مخاطباً المتلقي ولعل هذا الامر متأث من ان الشاعر رسم لنفسه منهجاً معارضاً لحكام بني امية، فتفاعل الشاعر مع مدركات الحياة ترك اثرأ واضحاً في بناء تجربته الفنية (٥). ومن الملاحظ ان الشاعر استعمل التكرار سباقاً فنياً للتعبير عن انفعاله وهذا الامر واضح في البيت الثالث فالشاعر يكرر لفظة (اجاع) (كرد فعل عنيف لمعانته من بني امية، فقد صور الشاعر الانفعال الذي الم به تعبيراً عن حالة الوجد المحس ادراكاً منه لما آلت اليه حاله تحت وطأة حكم بني امية فضلا عن شعوره الحاد، امتك الشاعر الاداة الخيالية التي تمكن بها من ايصال احساسه المر انسجاماً مع عاطفة متأثرة لتجد صدى لها عند المتلقي) (٦). اما حينما ينتقل ليتحدث عن آل الرسول بضمير الغائب نجد ذلك الهدوء والراحة النفسية والامل الممتد لانه بتوليهم الخلافة لا حزن ولا نصب. الغاية التي خرج بها الشاعر الى هذا النوع من الالتفات هي السخرية من المخصوص بالخطاب وهم (بنو امية) وتنبية المتلقي لحاله اذا بقي تحت وطأة هذه السياسة.

- الصورة الثانية هي الانتقال من الخطاب الى الغائب والعودة الى الخطاب مرة أخرى، قال الشاعر :

طربت وهل بك من مطرب وكم تنصاب ولم تلعب
صباية شوق تهيج الحليم ولا عار فيها على الاشيب
وما انت الا رسوم الديار ولو كن كالحلل المذهب
ولا ظعن الحي إذا ادلجت بواكر كالاجل والربرب
ولست تصب الى الظاعنين إذا ما خليلك لم يصيب
فدع ذكر من لست من شأنه ولا هو من شأنك المنصب
وهات التناء لاهل التناء باصوب قولك فالاصوب
بني هاشم فهم الاكرمون بنو الباذخ الأفضل الأطيب
واباهم فاتخذ اوليا ء من دون ذي النسب الاقرب
وفي حبه فاتهم عادلاً نهاك وفي حبلهم فاحطب (٧)

ان الشاعر يحاول عبر افتتاح قصيدته بجملة فعلية يتبعها سؤال إنكاري ان ينبه المتلقي ويحوّل جلّ انتباهه الى امر مهم يشغل الشاعر ويحاول ان يجعله شغل المتلقي ايضاً، فالمقدمة في هذه الهاشمية أدت وظيفة مهمة وهي (اخراج المتلقي على الواقع عن طريق اشارة تشويقه وفضوله، ودفعه الى التأمل في واقعه، ما يفضي الى حركة تالية تكشف هذا الواقع وتبين بؤسه، وضرورة السعي لتغييره) (٨). وقد اعتمد الشاعر الصورة الواقعية معياراً فنياً في مستهل قصيدته للدخول في واقعية الحدث (٩). فالشاعر قد تقمص لباس الخطيب

١-شرح الهاشميات : ٨٠ - ٨١.

٢-الصورة الفنية في شعر الكعبت بن زيد : ١٨٣.

٣-الحكومة الاسلامية في منظور الشاعر الكعبت بن زيد، محمد علي ادرشب، مجلة ايران والعرب، مجلة الكترونية.

٤-شرح الهاشميات : ٨٢.

٥-الصورة الفنية في شعر الكعبت بن زيد الاسدي : ١٨٥.

٦-م.ن : ١٨٥.

٧-شرح الهاشميات : ٧٧ - ٧٨.

٨-هاشميات الكعبت بن زيد الاسدي الحافظ الحق للثورتن السياسية والاجتماعية والادبية.

٩-الصورة الفنية في شعر الكعبت بن زيد الاسدي : ١٨٤.

ليطرح رؤيته بصيغة المجهول كي يمنح المتلقي فرصة الاصغاء والتفاعل معه، وبعد ان يذكر له مجموعة من الامور التي تشغل الشعراء انذاك ممن ينشغلون بالحياة ولهوها، يأخذ الشاعر بيد المتلقي لتبدو الصورة واضحة امامه^(١). فالشاعر بدأ يبين للمتلقي الصورة الحقيقية ان الصباية والشوق ليست من شأننا وانتقل من صورة الخطاب العادي الى الصيغة الطلبية ليخلق حالة من الالتزام واجبار النفس على ترك ما ليس يهمها من امر دنياها قال :

فدع ذكر من لست من شأنه ولا هو من شأنك المنصب^(٢)

وبعدها ينتقل الشاعر ليتحدث بلغة الغائب ليبين من هم احق بالانشغال بهم وترك الدنيا وملذاتها لأتباعهم. وفي لحظة واحدة نراه ينتقل من جديد للمتلقي ليخاطبه بصيغة طلبية طالباً منه ان يتمسك بالبيت ويطيع لأمرهم وان يتهم كل من ينهائهم عن حبهم والتمسك بهم. ان الغاية من هذا الالتفات هو للتنبية إلى فضل أهل البيت (ع).

ج- الانتقال من التكلم الى الغيبة:- وله صورة واحدة وهي الانتقال من التكلم الى الغيبة الى التكلم : قال الشاعر في الامام علي (ع) :

أهوى عليا امير المؤمنين ولا	الوم يوماً ابا بكر ولا عمرا
ولا اقول وإن لم يعطيا فدكا	بنت النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به	يوم القيامة من عُذرا إذا اعتذرا
إن الرسول رسول الله قال لنا	إن الامام علي غير ما هجرا
في موقف اوقف الله الرسول به	لم يُعطه قبله من خلقه بشرا ^(٣)
هو الامام امام الحق نعرفه	لا كاللذين استزلانا بما ائتمرا ^(٤)

يتحدث الشاعر بصيغة المتكلم ليعلن هواه لعلي (ع) وفي المقابل يبين ان منهجه ليس سب وشتم من سلبوا حق بنت النبي (ص) محاولاً شد انتباه المتلقي الى امر ارتباط بشكل مباشر بهذا السلب المادي وهو سلب احقية الامام (ع) بالخلافة بعد الرسول (ص) مؤكداً امامة علي (ع) بقول الرسول (ص) وموقفه يوم الغدير. وبعدها يقابل بين الامام علي (ع) وبين من سلب حق الامامة دون ان يذكر اسميهما لأن الصورة التي اراد رسمها اتضحت في ذهن المتلقي فلا داعي لتكرارها. ان الغاية التي ارادها الشاعر من انتقاله من التكلم الى الغيبة الى التكلم مرة أخرى كانت لتنبية المتلقي الى احقية الامام علي (ع) بالخلافة.

وفي نص آخر يذكر فيه صفات اهل البيت (ع) قال:

ارى لهم الفضل في السابقات	ولم أتمن ولم احسب
مساميح بيض كرام الجدود	مراجيح في الرهج الأصهب
مواهيب للنفس المستراد	لأمثاله حين لا موهب
اكارم غر حسان الوجوه	مطاعيم للطارق الاجنب
وردت مياهم صاديا	بحائمة ورد مستعذب
فما حلاتني عصي السقات	ولا قبل يا ابعد ولا يا اغرب
ولكن بجأأة الاكرمين	بحظي في الاكرم الاطيب
لئن طال شربي بالأجنات	لقد طاب عندهم مشربي
اناس اذا وردت بحرهم	صوادي الغرائب لم تغرب ^(٥)

ان الشاعر يوضح فضل اهل البيت ومناقبهم فيتحدث عنهم بلغة المتكلم في البداية ليوضح ان مدحه لهم حقيقي وليس مجرد امنية فأعمالهم وفعالهم واضحة للعيان، الا انه سرعان ما يلتفت من ضمير المتكلم الى ضمير الغائب ليعدد فضائلهم فهم اولو سماحة وكرم ورزانة وثبات في مواطن القتال ومن الملاحظ ان الشاعر وظف الصورة البصرية في البيت الثاني لتغدو صفات ممدوحيه جلية واضحة للعيان فالشاعر (يتمسك بنقاء الصورة البصرية لممدوحيه يبصر فيهم البياض، ويلفهم الوقار والرزانة حتى وهم يخوضون غمار الحرب حيث امست السماء مغبرة كلون التراب)^(٦). وقد اخضع الشاعر هذين اللونين (في ابتداء صورته الشعرية التي تعكس صدق احساسه المرهفة على الرغم من ان اللونين متضادين لكنه أشاع من خلالهما إيمانه بممدوحيه)^(٧). وبعد ان يجد الصورة بدت واضحة جلية للمتلقي أنتقل من جديد الى ضمير المتكلم محاولاً المزج بين حال الشاعر وبين صفاتهم وكرمهم ولعل حديثه بصيغة التكلم وبيان تلك الصفات لا تمثل حال الشاعر بل تمثل حال الأمة الإسلامية المحتاجة إلى ذلك النبع الصافي. ان الغاية التي ابتغها الشاعر من هذا الالتفات هي التعظيم من شأن ممدوحيه وهم اهل البيت (ع).

٤-الانتقال من الغيبة الى التكلم :- وله صورتان، الصورة الاولى: الانتقال من الغيبة الى التكلم، قال الشاعر :

الاهل عم في رأيه متأمل	ام هل مدبر بعد الإساءة مقبل
وهل امة مستيقظون لرشدهم	فيكشف عنه النعسة المتزمل
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى	مساويهم لو كان ذا الميل يُعدل

١-م.ن : ١٨٥ .

٢-شرح الهاشميات : ٧٨ .

٣-شرح الهاشميات : ٨٣ - ٨٤ .

٤-الموسوعة الشعرية،المجمع الثقافي،الإمارات العربية المتحدة،الإصدار ٣،قرص ليزري.

٥-شرح الهاشميات: ٧٩ .

٦-الصورة الفنية في شعر الكميت بن زيد الاسدي : ١٨٨ .

٧-م.ن : ١٨٨ .

وعطلت الاحكام حتى كأننا
كلام النبيين الهداة كلامنا
رضينا بدنيا لا نريد فراقها
ونحن بها متمسكون كأنها
على ملة غير التي نتنحل
وافعال اهل الجاهلية نفعل
على اننا فيها نموت ونقتل
لناجنة مما نخاف ومعقل^(١)

ان الشاعر يوظف ضمير الغائب ليجذب انتباه المتلقي عن طريق اثاره تشويقه وفضوله ودفعه الى التأمل في واقعه^(٢). وما يلاحظ ان الشاعر وظف تقنيات فنية منها الاستفهام الانكاري فالشاعر يفتح قصيدته بحرف استفتاح يليه استفهام إنكاري فهو يطرح سؤالاً ينكر واقعاً يكون فيه المقبل مدبراً بعد الإساءة، وما يلاحظ ان هذا الاستفهام تضمن اتهاماً بالقبول وتحريضاً على الخروج ويكرر الشاعر الاستفهام للمرة الثالثة ليحرض على اليقظة إلى الرشد والنهوض من حالة النوم^(٣). وبعدها ينتقل الشاعر من الحديث بصيغة الغائب الى صيغة المتكلم ليصور الواقع فأحكام الدين معطلة وكأن الناس قد اتخذت ديناً غير الدين الاسلامي، والناس متمسكون بالدنيا لا يهتمهم ما يحدث بالدين وكأنهم عادوا الى افعال الجاهلية، ومن هذا يتضح ان ضمير الغائب ادى وظيفة (خلخلة السكون القائم، وتشكيل حالة الاحساس بالفقد ما يدفع للخروج والسعي)^(٤)، اما ضمير المتكلم فإنه وظفه لكشف الواقع وتحديد مسار السعي^(٥). ان الغاية من هذا الالتفات كان دافعه التوبيخ والتحريض على الثورة.

الصورة الثانية:- الانتقال من الغيبة الى التكلم الى الغيبة، قال الشاعر في ذكر يوم الغدير :

ويوم الدوح دوح غدیر خم
ولكن الرجال تبايعوها
فلم ابلغ بها لعنا ولكن
فصار بذاك اقربهم لعدل
اضاعوا امر قائدهم فضلوا
تناسوا حقه وبغوا عليه
ابان له الولاية لو اطيعا
فلم ار مثلها خطرا مبيعا
اساء بذلك او لهم صنيعا
الى جور واحفظهم مضيعا
واقومهم لدى الحدثن ريعا
بلا ترة وكان لهم قريبا^(٦)

يصور الشاعر يوم الغدير وما حدث في ذلك اليوم من تنصيب الامام علي (ع) اماماً للامة وبعدها ينتقل ليوضح تنازع الامة وبيعها لذلك العهد والميثاق الذي اعطوه للرسول (ص)، والشاعر يذكر هذا اليوم بلغة الغيبة ليوجه انتباه المتلقي الى اهمية ذلك اليوم في حياة الامة الإسلامية وما حدث للامة نتيجة ترك امر قائدهم وإضاعتهم للعهد الذي عاهدوه للرسول (ص). وبعدها يتحدث بلغة المتكلم ليعمق الفكرة في النفوس ويؤكد خطورة هذا الامر على الامة ومن ثم ينتقل مرة أخرى ليتحدث بلغة الغائب ليبين وضع الامة بعد الرسول (ص) واختلافهم ونسيانهم للعهد الذي قطعوه والذي ادى الى ضلالهم وابتعادهم عن طريق الحق. ان انتقال الشاعر من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم والعودة مرة أخرى الى ضمير الغيبة كان لغرض تنبيه المتلقي الى احقية الامام علي (ع) بالخلافة.

هـ- الانتقال من الخطاب الى التكلم :- وفيه صورة واحدة وهي الانتقال من الخطاب الى التكلم الى الخطاب، قال الشاعر:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها
الم ترني من حب آل محمد
كأنني جان محدث وكأنما
بهم يتقي من خشية العرّ أجرب^(٧)
ويا حاطباً في غير حبلك تحطب
اروح وأغدو خائفاً اترقب
بهم يتقي من خشية العرّ أجرب^(٧)

يصف الشاعر حال الذي يوضح الطريق لغيره ويظل هو اعمى لا يرى الطريق الصحيح امامه عبر توظيفه للغة المخاطب، فالشاعر يوجه خطابه الى المتلقي الذي عمى عن بصيرته راسماً له صورته فهو كالنار التي تضيء لغيرها وهي تحرق نفسها، لينتقل وإياه إلى حالة الشاعر عبر توظيفه للاستفهام الانكاري وضمير المتكلم (انا) موضحاً صورة محبي آل البيت فهم خائفون مترقبون، وبعدها ينتقل الى ضمير الغيبة (بهم يتقي من خشية العرّ أجرب)^(٨). ان الغاية التي ارادها الشاعر من هذا الالتفات هي التوبيخ.

وفي نص آخر يرثي الرسول (ص) قال :

يا صاحب الحوض يوم لا شرب للصو
نفسى فدت اعظماً تضمنها
ارد إلا ما كان يضطرب
قبرك فيه العفاف والحسب^(٩)

يخاطب الشاعر الرسول الاعظم محمد (ص) عبر توظيفه لاسلوب الخطاب المباشر (يا صاحب) موضحاً صفات الرسول وكرمه وانه صاحب الحوض يوم القيامة، وبعدها ينتقل الشاعر الى ضمير المتكلم راثياً له معظماً لشخصه الكريم عبر تعظيمه لتلك العظام الطاهرة النقية، وبعدها يلتفت الى ضمير الغيبة متحدثاً عن القبر الشريف الذي ضم بداخله الجسد المقدس المتصف بالعفاف والحسب فالشاعر انتقل في بيتين شعريين من ضمير الخطاب (انت) الى ضمير المتكلم (انا) الى ضمير الغيبة (هو) وذلك لإظهار المهابة والجلالة لشخص الرسول (ص).

^١-شرح الهاشميات : ٦٦ - ٦٧.

^٢-ينظر : هاشميات الكعبت بن زيد الاسدي الحافظ الحق للثورتين السياسية الاجتماعية والدينية.

^٣-ينظر : م.ن.

^٤- م.ن.

^٥-ينظر : م.ن.

^٦-شرح الهاشميات : ٨١ - ٨٢.

^٧- م.ن : ٤٦.

^٨- م.ن : ٤٦.

^٩- م.ن : ٦١.

وفي نص آخر يذكر الشاعر ساسة بني امية قال:
 فيا ساستا هاتوا لنا من حديثكم
 اهل كتاب نحن فيه وانتم
 فكيف ومن انى واذ نحن خلفه
 لنا وتلاع الارض حو مريعة
 ام الوحي منبوذ وراء ظهورنا
 لنا راعياً سوء مضيعان منهما
 اتت غنماً ضاعت وغاب رعاؤها
 ففيكم عمري ذو افانين مقول
 على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
 فريقان شتى تسمنون ونهزل^(١)
 سنام أمالته الخطنائط أميل
 فيحكم فينا المرزبان المرفل
 ابو جعدة العادي وعرفاء جبال
 لها فرعل فيها شريك وفرعل^(٢)

يخاطب الشاعر ولاية السوء حكام بني امية بصيغة طلبية طالباً منهم ان يوضحوا سياستهم ومنهجهم في ولاية الامة وأي طريق يتبعون، فالصورة التي يرسمها الشاعر صورة انفعال الحق ضد الباطل فهو (يرفع صوته بوجه الظالمين، مندداً بما ينزلونه من عذاب بالامة ومن استهانة بكرامتها وتضييع لحقوقها)^(٣). وبعد ذلك ينتقل الشاعر في رسم الصورة من ضمير المخاطب الى ضمير المتكلم لينشئ ثنائية تضاد بين ضمير المتكلم (نحن) الذي يمثل الامة الاسلامية، وبين ضمير المخاطب (انتم) الذي يمثل الحكام السياسيين محاولاً تصوير حالة الامة تحت سلطتهم وظلمهم، ومن ثم ينتقل الى ضمير الغائب ليوضح حالة رعاة الامة الذين اضاعوا رعيتهم بسوء تدبيرهم ان الغاية من وراء هذا الالتفات هي السخرية من المخصوص بالخطاب وهم حكام بني امية. وفي نص آخر يذكر الشاعر حبه وولاه للرسول (ص) قال:

سل الهموم لقلب غير متبول
 ولا تقف بديار الحي تسألها
 ما انت والدار اذ صارت معارفها
 نفسي فداء الذي لا الغدر شيمته
 الحازم الرأي والمحمود سيرته
 ولا رهين لدى بيضاء عطبول
 تبكي معارفها ضلاً بتضليل
 للريح ملعبة ذات الغرابيل
 ولا المعاذير من بخل وتقليل
 والمستضاء به والصادق القيل^(٤)

لعل خطاب الشاعر مع المتلقي عبر توظيفة للصيغة الطلبية واستهلال قصيدته بتلك المقدمة كان حافزاً وتهينة لذهن المتلقي فالعشق والوقوف على الديار وبكاء الاطلاع لاتهم الشاعر، فالشيء الذي يشغل باله هو حبه للرسول (ص) فنراه ينتقل من صيغة الخطاب الى صيغة التكلم إلا انه لم يستفرغ بها وقتاً طويلاً فسرعان ما انتقل الى صيغة الغيبة جاعلاً من نفسه والحديث عنها واسطة وطريقة ليعبر عبرها اهمية الرسول (ص) للامة. ومن الواضح ان الشاعر حينما يمدح الرسول (ص) ويذكر مناقبه فإنه يريد بذلك ذكر آل البيت (ع) وأحقيتهم بالخلافة فمدحه للرسول (ص) (تزكية للهاشميين ولفت للذهن الى حق هؤلاء بالخلافة)^(٥). ان الغاية من هذا الالتفات هو التنبيه لفضل الرسول (ص) الذي يوضح فضل اهل البيت (ع).

و- الانتقال من التكلم الى الخطاب:- وله صورة واحدة وهي الانتقال من ضمير التكلم الى ضمير الخطاب، قال الشاعر:
 طربت وما شوقاً الى البيض اطرب
 ولا لعباً وذو الشيب يلعب^(٦)
 ويستمر الشاعر في التحدث بلغة التكلم^(٧)، الى ان يقول:

فقل للذي في ظل عمياء جونة
 يرى الجور عدلاً أين لا أين تذهب
 بأي كتاب ام بأية سنة
 ترى حبهام عاراً علي وتحسب
 أسلم ما تأتي به من عداوة
 وبغض لهم لا جبر بل هو اشجب^(٨)

يرسم الشاعر في مستهل قصيدته حالة طربه وحبه عبر توظيفه للصورة الحقيقية في بيان حالته وطربه وسرعان ما يربط بين هذه المقدمة وبين الحدث الاساس الذي يريد ان يوصله للقارئ فالشاعر استعمل الحقائق التي يؤمن بها في بناء صورته عبر اتحاد كل من الصورة والحقائق اذ ان (المبدأ الذي ينظم الصورة هو التوافق في الموضوع والصورة، الصورة تضيء الطريق للموضوع وتساعد على كشفه خطوة خطوة)^(٩). وما يلاحظ ان الشاعر خرج بالمقدمة عن المؤلف لدى الشعراء فطربه وشوقه لا للبيض الحسان وانما لأهل بيت النبوة والعلم والفضيلة ولعله بهذا الخروج الفني اراد الخروج السياسي فكأن الواقع المعيش بحاجة الى خروج سياسي على الحكام وعلى كل ما هو موجود للوصول الى غاية اسمى، وهو يوضح ذلك بانتقاله بعد (١١) بيتاً شعرياً تحدث فيه بلغة المتكلم الى ضمير الخطاب وقد وظف الصيغة الطلبية مستعملاً فعل الامر (قل) ليكون التأثير اقوى وليحث المقابل والمخاطب على كسر ذلك السكون والركود. ان الشاعر عبر في تلك الابيات الشعرية عن عاطفته الجياشة المحبة، وعن تلك الحاجات النفسية والاجتماعية

١- م.ن : ٦٨.

٢- الموسوعة الشعرية.

٣- الرسائل في الشعر الشيعي، د. محمد علي آذرشب، مجلة رسالة التقريب، ٦٤.

٤- شرح الهاشميات : ٨٣.

٥- أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الزهراء، القاهرة، ١٤٠٩ هـ: ٢٢٣.

٦- شرح الهاشميات: ٣٦.

٧- ينظر : م.ن : ٣٦ - ٣٨.

٨- شرح الهاشميات: ٣٨.

٩- الصورة الشعرية، دي لويس، س، ترجمة: احمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن ابراهيم، مراجعة: د. عناد اسماعيل غزوان، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٢ : ١٠٠.

والفكرية والدينية.. فكان شعره صورة من الصور المرتبطة بالعصر في اطواره الفكرية^(١) ان الغاية التي ارادها الشاعر من هذا الالتفات هي توبيخ المخصوص بالخطاب وهم بنو أمية. وفي نص آخر يذكر الرسول (ص) مخصصاً حبه وولاءه له قال :

فأعتب الشوق في فوادي
إلى السراج المنير احمد لا
عنه الى غيره ولو رفع ال
وقيل افرطت بل قصدت ولو
إليك يا خير من تضمنت الارض
لج بتفضيلك اللسان ولو
انت المصفي المهذب المحض في ال
نسبة ان نص قومك النسب^(٢)

يتحدث الشاعر هذه القصيدة موظفاً ضمير المتكلم عن ولائه للنبي (ص) ذلك الولاء الرسالي والشاعر يبين حالة من حالات الصراع بين ولائه للنبي وبين الناس الذين يؤنبونه على ذلك المدح والولاء فهم يرون الشاعر مبالغاً في ذلك الحب والولاء، وقد تعجب الجاحظ من قول الكميت هذا، قال : (فمن رأى شاعراً مدح النبي (ص) فأعترض عليه واحد من جميع اصناف الناس : حتى يزعم ان اناساً يعيبونه ويتلبونه ويعنفونه)^(٣). ولعل في قول د. عبد الحسيب طه حميدة رد واضح لتساؤل الجاحظ اذ قال : (ونحن نرى ان الكميت كان اعلم باخلاق عصره من هؤلاء، وامس بسياسته...، كان يشعر بانه يحيا وسط دولة ترى : ان هذا اللون من مدح الرسول - صلى الله عليه واله وسلم- تزكية للهاشميين، ولفت للذهن الى حق هؤلاء في الخلافة)^(٤). وبعد ذلك ينتقل الشاعر من ضمير المتكلم (انا) الى ضمير الخطاب (ك) موضحاً الصورة للمتلقى مخصصاً حبه وولاءه للرسول (ص). فالغاية من هذا الالتفات هي التخصيص.

القسم الثاني:- الالتفات بالافعال: وهو قسم من اقسام الالتفات في شعر الكميت وهذا القسم ينقسم بدوره الى أربعة أقسام.

وهي بحسب ورودها في شعر الكميت ولها غايات متعددة على وفق المعنى الذي تقتضيه الابيات الشعرية:

أ- الانتقال من الماضي الى المضارع :- وله صورتان، الصورة الاولى : الانتقال من الماضي الى المضارع، قال الشاعر:

طربت وما شوقاً الى البيض اطرب
ولا لعباً وذو الشيب يلعب^(٥)

ان انتقال الشاعر من صيغة الفعل الماضي (طربت) الى صيغة الفعل المضارع (اطرب)، كان لغرض بقاء اثر الطرب زماناً بعد زمان الا انه في الوقت نفسه يوضح ان هذا الطرب من الماضي الى المستقبل ليس للبيض وانما لأهل البيت (ع) كما توضحه بقية الابيات الشعرية. وفي نص آخر قال :-

فما ساؤني تكفير هاتيك منهم
يعيبونني من خبثهم وضلالهم
ولا عيب هاتيك التي هي اعيب
على حيكم بل يسخرون وأعجب^(٦)

ان الشاعر يصور حاله فهو لا يبال بأقوال وأفعال بني أمية له فحبه لآل البيت (ع) أجلّ واكبر فالشاعر بانتقاله من الفعل الماضي (ساءني) الى صيغة الفعل المضارع (يعيبونني) اراد استمرارية تأثير الفعل الماضي وهو (عدم الاستياء) لأفعالهم لاستهانتهم بهم وسخريته منهم. اما الصورة الثانية :- الانتقال من الماضي الى المضارع الى الماضي.

لقد غيبوا برأ وصدقاً ونائلاً
يقولون كم يورث ولو لا تراثه
عشبة واراك الصفيح المنصب
لقد شركت فيه بكيل وأرحب^(٧)

يتحدث الشاعر في هذين البيتين عن الرسول (ص) ولعله اراد بحديثه عن الرسول (ص) الحديث عن الخلافة وهذا واضح من قراءة البيت الثاني (لم يورث ولو لا تراثه) فالتراث الذي خلفه الرسول (ص) هو الخلافة، فالشاعر يبدأ حديثه بصيغة الفعل الماضي ثم ينتقل الى صيغة الفعل المضارع ثم يعود الى صيغة الماضي ولعله بذلك اراد التشديد على دلالة الفعل الماضي.

ب- الانتقال من الفعل المضارع الى الماضي :- وله صورتان الصورة الاولى: الانتقال من المضارع الى الماضي، قال الشاعر

في ذكر يوم الغدير:
لدى الرحمن يصدع بالمثاني
وكان له ابو حسن قريعاً^(٨)

ان الشاعر تحدث عن الرسول (ص) وتفصيله للآيات القرآنية بصيغة المضارع وبعدها انتقل الى صيغة الفعل الماضي حينما اراد التحدث عن اختيار الامام علي (ع) للإمامة، والمراد من هذا الانتقال هو اثبات وتأكيد ان الامام علي (ع) هو مختار من قبل الرسول (ص) الذي لا ينطق عن الهوى.

الصورة الثانية:- الانتقال من المضارع الى الماضي الى المضارع، قال الشاعر:

^١-ينظر : المسبار في النقد الأدبي (دراسة في النقد للأدب القديم وللتناص)، أ.د. حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣: ٨٦.

^١- شرح الهاشميات: ٥٨ - ٥٩.

^٢-البيان والتبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.- تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون دار الجيل - بيروت - لبنان - د.ت: ٢/٢٧٢.

^٣-أدب الشيعة: ٢٢٣.

^٥-شرح الهاشميات : ٣٦.

^٦-شرح الهاشميات : ٣٩.

^٧-م.ن : ٤٢.

^٨-م.ن : ٨١.

وارمى وارمي بالعداوة اهلهما واني لأوذى فيهم وأؤنب

فما ساءني قول امرئ ذي عداوة بعوراء فيها يجتديني فيجذب (١)

يصور الشاعر حال المعاندين لأهل البيت (ع) وحاله بصورة الفعل ورد الفعل فهم يرمونه بالعداوة وهو بالمقابل يرد على هذا الفعل بطريقة ما، ويستمر الشاعر بالتشديد على إصرارهم على تأنيبه باستخدامه للحرف المشبه بالفعل (ان) الدال على التأكيد، وبالمقابل يؤكد عدم أكثرائه لأفعالهم وأقوالهم بتوظيفه لاسلوب الالتفات من الفعل المضارع الى الفعل الماضي رجوعاً الى الفعل المضارع. ان الغاية من هذا الانتقال هي التشديد على وقوع الفعل الماضي لان الفعل الماضي (يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به) (٢). وفي نص آخر قال :

بخاتمكم غصباً تجوز امورهم فلم ار غصباً مثله يتغصب (٣)

يبين الشاعر في هذا البيت ظلم بني امية لآل البيت الذين اخذوا منهم حق الخلافة وانه لولا ذلك لما كان لبني امية حق على الرعية، وبعدها ينتقل ليؤكد ان هذا الأمر أمر عظيم ولأهميته لا يوجد أمر أعظم منه لذلك نجده يقول (فلم ار غصباً مثله يتغصب) (٤). من الواضح ان الغاية من ذلك هو اثبات وتشديد وقوع الفعل الماضي واستمرارية حدوثه.

ج- الانتقال من فعل الامر الى الفعل الماضي قال الشاعر:

فقل لبني امية حيث حلوا وان خفت المهند والقطيعا (٥)

ان الشاعر في التفاتة من صيغة فعل الامر (فقل) الى صيغة الفعل الماضي (حلوا ، خفت)، كان لرغبة الشاعر في تأكيد فعل (القول) فانفعال الشاعر على واقع الامة الاسلامية وتحكم بني امية فيها ادى الى توظيفه لفعل الامر ليلزم المخاطب بالفعل ولزيادة تأكيده وإلحاحه على الفعل انتقل من صيغة الامر الى الماضي.

ء- الانتقال من فعل الامر الى الفعل المضارع، قال الشاعر:

فقل للذي في ظل عمياء جونه يرى الجور عدلاً أين لا أين تذهب (٦)

يصف الشاعر خصوم آل البيت (ع) بالجهل الذي يتضح بقوله (في ظل عمياء جونه). ولعل الغاية التي اقتضت تحول الشاعر من فعل الامر (فقل) الى الفعل المضارع (يرى ، تذهب) هي التشديد على فعل الامر من ناحية والاستخفاف والتهاون بالمقصود بالخطاب من ناحية أخرى.

وفي نص آخر قال:

فيارب عجل ما يؤمل فيهم ليدفأ مقرور ويشبع مرمل (٧)

يصور الشاعر في هذا البيت حاجة الامة الى اهل البيت (ع) فهو يدعو الله لان تكون الولاية لهم، فيتوليهم بحيا الناس بمستوى معيشي حسن فيدفاً المقرور ويشبع المرمل. وان الغاية من هذا الالتفات هي التعظيم لمن اختصوا بصيغة الفعل المضارع والتشديد على فعل الامر الذي خرج لغرض الدعاء.

القسم الثالث:- الالتفات بالعدد ويقسم على ثلاثة انواع:-

أ- الانتقال من المفرد الى الجمع: وله صورتان، الصورة الاولى: الانتقال من المفرد الى الجمع، قال الشاعر:

لم ابع ديني المساوم بالكوس ولا مغلياً من السوام
اخلى الله لي هواي فما اغرق نزعاً ولا تطيش سهامي
ولهمت نفسي الطروب اليهم ولهاً حال دون طعم الطعام (٨)

يوضح الشاعر في هذا النص حبه وولائه لأهل البيت (ع) ويبين انه لم يبع دينه ولم يساوم به شيئاً آخر فحبه خالص لهم وان الله قد وفقه لهذا الحب وبعد لك يوضح ان اشتياق نفسه لآل البيت وليس لسواهم، فالشاعر التفت من المفرد الى الجمع ليخصص حبه وولائه لهم حتى ينحصر ذهن المتلقي في هذه الصورة.

وله ابيات شعرية اخرى في المعنى نفسه وخرجت للغاية نفسها ايضاً قال فيها :

فمالي آل آل احمد شيعة ومالي إلأ مشعب الحق مشعب
ومن غيرهم ارضى لنفسى شيعة ومن بعدهم لا من اجل وارجب
اريب رجالاً منهم وتربيني خلانق مما احدثوا هن اريب
اليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ضماء واليب (٩)

الصورة الثانية:- الانتقال من المفرد الى الجمع الى المفرد، قال الشاعر:

واحمل احقاد الاقارب فيكم وينصب لي في الابعدين فأنصب
بخاتمكم غصباً تجوز امورهم فلم ار غصباً مثله يتغصب (١٠)

١- شرح الهاشميات : ٣٨ .

٢- المثل السائر : ٤١٩ .

٣- شرح الهاشميات : ٤٠ .

٤- م.ن : ٤٠ .

٥- شرح الهاشميات : ٨٢ .

٦- م.ن : ٣٨ .

٧- م.ن : ٧٣ .

٨- م.ن : ٣٤ .

٩- شرح الهاشميات : ٣٩ .

١٠- م.ن : ٤٠ .

مما يلاحظ في هذين البيتين ان الشاعر يصور فيهما فضل آل البيت على الامة وعلى من يدعي الحكم وادارة الامور، فضلاً عن ذلك فالشاعر يصور ان من يوالي آل البيت لابد ان يتحمل أحماد كل من ينصب لهم العدا. والغاية التي ارادها الشاعر من الانتقال من المفرد (وأحمل أحماد) الى الجمع (بخاتمكم) الى المفرد مرة أخرى (قلم ار) هي توحد الرؤية فالمخاطب والشاعر كلاهما على علم ودراية بهذا الواقع.

وفي نص آخر قال:

والموصي الوالي والفراس المع	لم تحتض العجاج غير الكهام
كم له ثم كم له من قتيل	وصريع تحت السنايك دامي
وخميس يلفه بخميس	وقنام حواه بعد فنام
وعميدي متوج حل عنه	عقد التاج بالصنيع الحسام
قتلوا يومذاك إذ قتلوه	حكماً لا كغابر الحكام
مراعياً كان مسجماً ففقدناه	وفقد المسيم هلك السوام ^(١)

يصور الشاعر الامام علي (ع) وشجاعته وبطولاته في القتال وبعد ذلك ينتقل ليصور مقتله وتأثير ذلك على الأمة، فالإمام علي (ع) كان حاكماً عادلاً شجاعاً ولا يوجد ممن سبقه في الحكم يتصف بتلك الصفات، ومن الملاحظ ان الشاعر يحاول تقريب الصورة الى ذهن المتلقي فيصور الحاكم بصورة الراعي الذي يرعى مواشيه فيوجوده تلك المواشي سالمة اما اذا بعد عنها فأنها ستضيع أو قد تتعرض للخطر والأذى، وهذا هو حال الامة بدون وجود حاكم ينظم امورها ويدير شؤونها.

ومن الملاحظ ان الشاعر حينما يصف الامام يتحدث عنه بصيغة المفرد اما حينما يتحدث عن قاتله فنراه يتحول من صيغة المفرد الى صيغة الجمع ولعل ذلك يعود الى عظمة تلك الحادثة وذلك الموقف فالشاعر اراد تعظيم تلك الحادثة، وبعد ذلك نجده يعود مرة أخرى للتحدث بصيغة المفرد.

وفي نص آخر يرثي الشاعر الامام الحسين (ع) قال:

وقتيل بالطف غودر منه	بين غوغاء امة وطغام
تركب الطير كالمجاسد منه	مع هاب من التراب هيام
وتطيل المرزوات المقالي	ت عليه القعود بعد القيام
يتعرفن حروجه عليه	عقبه السرو ظاهراً والوسام
قتل الأديعاء إذ قتلوه	أكرم الشاربيين صوب الغمام ^(٢)

يرثي الشاعر في هذه الابيات الامام الحسين (ع) في صورة مفعمة بالصدق والإخلاص والوفاء، ونجد الشاعر يبني صورة تلك الحادثة بذكر المكان (الطف) فهذا المكان له وقع خاص في النفوس وبعد ذلك يصف حال الناس الذين تخلوا عنه فلم يبق إلا التلة المخلصة منهم، وقد احاط به السفلة من الناس، ويستمر الشاعر في رسم تلك الصورة التي الهبت مشاعر الناس قديماً وحديثاً فذاك الجسد الطاهر قد احاط به أخس الناس ينهبون ثيابه، والطيور حائمة كأنها الثياب المصبوغة، وقد انهال عليها الساكن من التراب. وما يلاحظ ان الشاعر في البيت الثالث يفيد من التراث القديم والتقاليد العربية فالمرأة (المقلات اذا طافت بقتيل كريم عاش ولدها)^(٣) ويتدرج الشاعر في وصف حال نساء بيت النبوة وهن حزينات لذلك المصاب الاليم وعلى الرغم من كل ما جرى للإمام الحسين (ع) فإن الوسامة بادية عليه، وينتقل في النهاية لذكر قاتل الامام الحسين (ع) وهو (عبيد الله بن زياد) بصورة ملئها الغضب والانفعال. فالشاعر في هذا النص انتقل من المفرد في قوله (وقتيل) الى الجمع في قوله (الطير، المرزوات، المقلات، يعرفن) ولعل الغاية من هذا الانتقال هو التفرد فعلى الرغم من ان قتلى الطف كثر إلا ان صورة مقتله وما جرى عليه لم يصل اليها أحد.

ت- الانتقال من الجمع إلى المفرد:- وله صورتان، الصورة الاولى: الانتقال من الجمع الى المفرد، قال الشاعر :

فهم الاقربون من كل خير	وهم الأبعدون من كل ذام
وهم الافون بالناس في الرأفة	والاحلمون في الأحلام
بسطوا أيدي النوال وكفوا	أيدي البغي عنهم والعرام
اخذوا القصد فاستقاموا عليه	حين مالت زوامل الأثام
عبراثُ الفعال والحسب العو	د إليهم محطوطة الاعكام
اسرة الصادق الحديث ابي القا	سم فرع القدامس القُدَام
خير حي وميت من بني آ	دم طراً مأمومهم والإمام ^(٤)

يصور الشاعر بصيغة الجمع صفات اهل البيت (ع) صفات الحكام الذين يرأفون برعيتهم ويبسطون لهم يد الخير والرزق، اصحاب الحلم والرأفة بالناس لا يميلون عن الحق مهما حدث، وينتقل الشاعر من صيغة الجمع الى صيغة المفرد ليخصص حديثه ليوضح الصورة للمتلقي حتى تتحدد الرؤية عنده فهم ينتسبون الى الرسول الاعظم (ص). فالغاية من هذا الالتفات هي التخصيص. اما الصورة الثانية:- فهي الالتفات من الجمع الى المفرد والعودة الى الجمع، قال الشاعر:

١- م: ٣٠ - ٣١.

٢- شرح الهاشميات : ٣٢.

٣- الصورة الفنية في شعر الكميت بن زيد الاسدي : ١٨٣.

٤- شرح الهاشميات : ٢٧ - ٢٨.

أصلح دنيانا جميعاً وديننا
برينا كبري القدح او هن منته
ولاية سلغد الف كأنه
كأن كتاب الله يعنى بأمره
الم يتدبر آية فتدله
فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم

على ما به ضاع السوام المؤبل
من القوم لا شار ولا متبتل
من الرهف المخلوط بالنوك أثول
وبالنهي فيه الكودني المركل
على ترك ما يأتي ام القلب مقفل
فحتى م حتى م العناء المطول^(١)

يؤكد الشاعر في هذه الابيات ان الامة لا يمكن ان تصلح دنياها الا بأصلاح دينها والعودة مرة اخرى الى كتاب الله ودينه الذي ارتضاه لها وهو اتباع اهل البيت (ع)، فالشاعر يصور حال الامة عبر توظيفه لضمير المتكلم بصيغة الجمع (نا) برينا، فالامة ضعفت وأنهكت قواها لسياسة الحكام الظلمة عليها، وبعد ان يوضح حال الامة التي تمثل الجماعة والكثرة ينتقل الى الضمير (المفرد) ليصف حال الحاكم الذي يحكم الامة ومن الملاحظ ان الشاعر يصف الحاكم بأسلوب فيه سخرية فهذا الحاكم سفيه طائش لا يعي شيئاً من الحياة وليس له طريق للهداية فكأن قلبه مقفل، وبعدها ينتقل الشاعر الى الجمع ليخبر المتلقي بصورة انفعالية تعبر عن سخط الشاعر من هؤلاء من جهة ومن جهة اخرى اراد الشاعر استنهاض الهمم ووضع حد لهؤلاء الساسة الذين طال ملكهم وظلمهم على الناس. من الواضح ان الغاية التي ارادها الشاعر من الانتقال من الجمع الى المفرد والعودة مرة اخرى للجمع هي التنبيه اولاً واستنهاض الهمم للدفاع عن الامة ثانياً. وفي قصيدة اخرى يبين الشاعر سياسة بني امية وظلمهم ويعمد الى وضع ثنائية بينهم وبين اهل بيت النبوة، قال:

ساسة لا كمن يرى رعية النا
لا كعبد المليك او كولي
رأيه فيهم كراي ذو التلة
جزّ ذي الصوف وانتقاء
من يمت لا يمت فقيداً ومن يح
فهم الاقربون من كل خير

س سواء ورعية الانعام
او سليمان بعد او كهشام
في الثائجات جنح الظلام
ة وانعق ودعدعاً بالبهام
بي فلا ذو ال ولا ذو ذمام
وهم الأبعدون من كل ذام^(٢)

من يقرأ هذه الابيات يجد ان الشاعر يرسم صورتين الصورة الاولى توضيح سياسة اهل البيت التي امتازت بالرحمة والرأفة. والصورة الثانية توضح سياسة بني امية وهي الصورة الظالمة القاسية التي ترى الناس كالأنعام يجزون صوفها ويذبحونها ويتعاملون معها بلا رحمة ولا عدالة، ومن الملاحظ ان الشاعر يوضح حال هؤلاء الساسة فالذي يعيش منهم في هذه الحياة لا يرقب في مؤمن عهد ولا قرابه والذي يموت لا يفتقد. وبعد ذلك يعود الشاعر الى ذكر صفات اهل البيت، ان الشاعر حينما يتحدث عن اهل البيت (ع) يتحدث بصيغة الجمع للتعظيم من شأنهم ولأنهم يمثلون مصدر القوة للفرد المؤمن وحين يتحدث عن بني امية جاء حديثه بصيغة المفرد للتحقير من شأنهم ولضعف سياستهم وتأثيرهم على الامة.

ج- الانتقال من المفرد الى المثنى:- وله صورة واحدة هي الانتقال من المفرد الى المثنى الى المفرد قال الشاعر:
له سترتا بسط فكف بهذه يكف
وبالأخرى العوالي تخضب^(٣)

يصف الشاعر شجاعة الامام علي (ع) وقوته في الحرب والغاية من هذا الانتقال كان لغرض التخصيص فالشاعر اراد ان يخصص الامام علي (ع) دون غيره بهذه الميزة.

د- الانتقال من المثنى الى المفرد:- وله صورة واحدة هي الانتقال من المثنى الى المفرد، قال الشاعر:
فريقان هذا راكب في عداوة
وباك على خذلانه الحق معول^(٤)

يصور الشاعر هنا اصحاب الامام الحسين (ع) وأصحاب بني امية ويجعلهما في ثنائية ضدية فالفريق الأول ركب في عداوته لقتال الإمام الحسين(ع) وأصحابه والفريق الثاني يبكي لضياح الحق وخذلانه. فالشاعر انتقل من المثنى (فريقان) الى المفرد (هذا) وهذا الانتقال كان من اجل تنبيه المتلقي الى حال هذين الفريقين.

هـ- الانتقال من الجمع الى المثنى :- وله صورة واحدة هي الانتقال من الجمع الى المثنى او العودة مرة اخرى للجمع، قال الشاعر:
فكيف ومن انى وإذ نحن خلفه
فريقان شتى تسمنون ونهزل^(٥)

ينتقل الشاعر في هذا البيت الشعري من الجمع (نحن) الى المثنى (فريقان) ويعود مرة اخرى الى الجمع (تسمنون، نهزل)، ويدل سياق البيت الشعري على السخرية من المخصوص بالخطاب وهم بني امية.

الخاتمة

بعد ان تنقلنا مع أبي المستهل في التفاتاته لابد لنا من حظّ رحالنا وتوضيح النتائج التي خرج بها هذا البحث ويمكن اجمالها في :-

- ١- ان الالتفات مرّ بمرحلتين قبل وضوح التسمية وشيوعها بين البلاغيين، تمثلت المرحلة الاولى بعدم وضوح التسمية اما المرحلة الثانية فتمثلت بتعدد التسميات الى ان استقرت التسمية على يد الاصمعي.
- ٢- ان للالتفات فوائد وغايات إلا أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط وانما تفهم من السياق سواء كان النص شعرياً أم نثرياً.
- ٣- ان الشاعر الكميّ وظف اسلوب الالتفات لغايات سياسية واجتماعية ودينية، فتعددت اقسامه وصوره لديه.

١- م.ن : ٦٩.

٢- شرح الهاشميات : ٢٦ - ٢٧.

٣- شرح الهاشميات: ٥٠.

٤- م.ن : ٧٢.

٥- م.ن: ٦٨.

- ٤- ان اسلوب الالتفات قسم على مجموعة من الأقسام ولكل قسم صور ولكل صورة غاية معينة كان الكميته يرجو الوصول اليها وتحقيقتها.
- ٥- من اقسام الالتفات في شعر الكميته : ١- الالتفات بالضمير وهو بدوره يقسم على:
- أ- الالتفات من الغيبة الى الخطاب وله صورتان الصورة الاولى الالتفات من الغيبة الى الخطاب وغايته السخرية، والصورة الثانية الالتفات من الغيبة الى الخطاب الى الغيبة وقد خرج لغرض التنبيه، واستنهاض الهمم والتعظيم.
- ب- الالتفات من الخطاب الى الغيبة وله صورتان الاولى الالتفات من الخطاب الى الغيبة وخرج لغرض التعظيم والسخرية، والصورة الثانية الالتفات من الخطاب الى الغيبة الى الخطاب وغايته التنبيه.
- ج- الالتفات من الخطاب الى المتكلم وله صورة واحدة وهي الالتفات من الخطاب الى المتكلم الى الغائب وغايته التنبيه والتوبيخ واطهار المهابة والجلالة.
- د- الالتفات من المتكلم الى الخطاب وله صورة واحدة هي الالتفات من المتكلم الى الخطاب وغايته التوبيخ والتعظيم.
- هـ- الالتفات من الغائب الى المتكلم وله صورتان الصورة الاولى الالتفات من الغائب الى المتكلم وقد خرج لغرض التوبيخ والتعظيم على الثورة، اما الصورة الثانية فهي الالتفات من الغائب الى المتكلم الى الغائب وغايته التنبيه.
- و- الالتفات من التكلم الى الغائب وله صورتان الصورة الاولى الالتفات من التكلم الى الغائب وغايته التنبيه والصورة الثانية الالتفات من التكلم الى الغائب الى التكلم وغايته التعظيم.

٢- الالتفات بالأفعال وقد قسم على :

- أ- الالتفات من الفعل الماضي الى المضارع وله صورتان الاولى الالتفات من الماضي الى المضارع وغايته استمرار اثر الفعل، والسخرية والاستهانة، والصورة الثانية هي الانتقال من الفعل الماضي الى المضارع الى الماضي وغايته تأكيد دلالة الفعل الماضي.
- ب- الالتفات من الفعل المضارع الى الماضي وله صورتان الاولى الالتفات من مضارع الى ماض الى مضارع وغايته التأكيد والصورة الثانية الالتفات من المضارع الى الماضي.
- ج- الالتفات من فعل الامر الى المضارع وله صورة واحدة وغايته تأكيد لزوم الفعل.
- د- الالتفات من فعل الامر الى الماض وله صورة واحدة وغايته تأكيد لزوم فعل الامر وحدوثه.

٣- الالتفات بالعدد، وقد قسم على:

- أ- الالتفات من المفرد الى الجمع وله صورتان الاولى الالتفات من المفرد الى الجمع الى المفرد وغايته التعظيم، والتفرد، وتوحد الرؤية، والصورة الثانية الالتفات من المفرد الى الجمع وغايته التخصيص.
- ب- الالتفات من الجمع الى المفرد وله صورتان الاولى الالتفات من الجمع الى المفرد الى الجمع وغايته السخرية، والصورة الثانية الالتفات من الجمع الى المفرد وغايته التخصيص.
- ج- الالتفات من المفرد الى المثني وله صورة واحدة وهي الالتفات من المفرد الى المثني الى المفرد وغايته التخصيص.
- د- الالتفات من المثني الى المفرد وغايته التنبيه.
- هـ- الالتفات من الجمع الى المثني وله صورة واحدة وهي الالتفات من الجمع الى المثني الى الجمع وغايته السخرية.

فهرست المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٣- أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري؛ الدكتور عبد الحسيب طه حميدة ط٣، د.ت.
- ٤- إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، علي مهدي زيتون، دار المشرق - بيروت، (د.ط)، ١٩٩٢ .
- ٥- اقنعة النص، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، ١٩٩١ .
- ٦- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤ .
- ٧- البلاغة عند السكاكي، احمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، د.ط، ١٩٦٤ .
- ٨- البيان و التبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. - تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون دار الجيل - بيروت - لبنان - د.ت
- ٩- تاج العروس من جواهر القاموس الإمام محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتض الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي دار الرشد الحديثة. د.ت المجلد الأول.
- ١٠- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تح: احمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ط، د.ت.
- ١١- جواهر البلاغة أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د.ط، د.ت.
- ١٢- دراسات ونماذج من مذاهب الشعر ونقده، محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٨٧ .
- ١٣- شرح الهاشميات، للشاعر الكميته بن زيد الاسدي، محمد محمود الرافي، شركة التمدن الصناعية، مصر، ط٢.
- ١٤- شرح ديوان جرير، جمعه وشرحه: محمد إسماعيل الصادي، مكتبة النهضة، بغداد، د.ط، ١٣٥٣ هـ.
- ١٥- شفرات النص، د. صلاح فضل، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠ .
- ١٦- الصورة الشعرية، دي لويس، س، ترجمة: احمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، مراجعة: د. عناد إسماعيل غزوان، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٢ .
- ١٧- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
- ١٨- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٢ .

١٩- الغدير, الشيخ: عبد الحسين الاميني, دار الكتاب العربي-بيروت, ١٣٧٩ هـ.

- ٢٠-- في الشعر الإسلامي والأموي, د. عبد القادر القط, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت, ١٩٨٧ .
- ٢١- الكشف, الزمخشري, رتبه وضبطه وحققه: مصطفى حسين احمد, دار الكتاب العربي, ط٣, ١٩٨٧ .
- ٢٢- اللغة الشعرية, محمد كنوني, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ط١, ١٩٩٧ .
- ٢٣- المثل السائر, ابن الأثير, تح: محمد محي الدين عبد الحميد, مط: مصطفى البابي الحلبي, مصر, د.ط, ١٩٣٩ .
- ٢٤- المسبار في النقد الأدبي (دراسة في النقد للأدب القديم وللتناص), أ.د. حسين جمعة, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, ٢٠٠٣ .
- ٢٥- المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى وآخرون, دار الدعوة, استانبول, ط ٢, ١٩٧٢ .
- ٢٦- كتاب الصناعتين, أبو هلال العسكري, تح: د. مفيد قميحة, دار الكتب العلمية, بيروت, ط٢, ١٩٨٩ .
- ٢٧- لسان العرب, ابن منظور, دار صادر, بيروت, د.ط, دبت (مادة لفت).
- ٢٨- مجاز القرآن, أبو عبيدة, تح: محمد فؤاد سركين, مطبعة السعادة, مصر, ١٩٦٢ .
- ٢٩- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز, فخر الدين الرازي, تح: إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي, دار الفكر للنشر, عمان, د.ط, ١٩٨٥ .

الرسائل:

- ١- اسلوب الالتفات في شعر الجواهري, شيماء محمد كاظم الزبيدي, رسالة ماجستير كلية التربية - جامعة بابل.
- ٢- ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقارنة اسلوبية, عبد الحفيظ مراح, رسالة ماجستير, كلية الآداب واللغات, جامعة الجزائر, ٢٠٠٦ م .

البحوث والدوريات:

- ١- اسلوب الالتفات, ميلود لقاح, صحيفة المثقف, صحيفة سياسية ثقافية مستقلة, ٥ نوفمبر, ٢٠٠٦ .
- ٢- الحكومة الإسلامية في منظور الشاعر الكميت بن زيد, محمد علي أذرشب, مجلة إيران والعرب, مجلة الكترونية.
- ٣- الرسائل في الشعر الشيعي, د. محمد علي أذرشب, مجلة رسالة التقريب, ٦٤ .
- ٤- الصورة الفنية في شعر الكميت بن زيد الاسدي, د. عباس عبيد الساعدي, مجلة اهل البيت (ع), ٤, ٢٠٠٥ .
- ٥- جماليات العدول ومظاهره حول الشعرية العربية, قراءة في التراث العربي, ابو صفا عبد الرحيم, بحث انترنت.
- ٦- فن الالتفات في مباحث البلاغيين, جليل رشيد فالح, مجلة آداب المستنصرية, دمط, بغداد, ٩٤, د.س, ١٩٨٤: ٦٦ .
- ٧- هاشميات الكميت بن زيد الاسدي الحافز الحق للثورتين السياسية والاجتماعية والأدبية, د. عبد المجيد زراقطة, مجلة المنهاج, ٢٤, ١٩٩٦ مجلة الكترونية.